القوى الروحية في الصين

من محاضرة لكلود فاريز

لا أجد بدًّا من الاعتراف بما أشعر به من التردّد في معالجة مسألة لم يستطع ذكاء الغربيين سبيلاً الى حلّها حلاً أكيداً وهي : ما هي الصين ومن هم الصينيون ؟

لقد درست هذه المسألة طوال ثلاثين سنة ان لم اقل طوال حياتي كلها ، فقد عشت في الصين مدة طويلة ليس في المدن الكبيرة فحسب بل في القرى النائية التي لم يقدر لرجل من البيض ان وطئها قبلي ، فتعرفت الى الصينيين في حياتهم الخاصة ولي بينهم اصدقاء احترمهم وأعجب بهم ولا انسى ان فئة من الطلاب الصغار سألتني مرة ان اضع رواية عن بلادها . على اني تردّدت في اجابة الطلب قائلاً : «لن أجيد وضع هذه الرواية فأنتم شيوخ مسنون ، وما انا بالنسبة اليكم سوى ولد صغير »

فاتخذوا هذا الجواب ضرباً من ضروب الأدب واللياقة فالصينيون يرتاحون كثيراً الى من يغرق في مضاعفة أعمارهم وأبلغ عبارة تستطيع ان تمدح بها سيدة صينية هي ان تقول لها انها طاعنة في السن . وبالحقيقة ان قولي للطلاب الصينيين إنهم شيوخ مسنّون إنما هو قول حقّ وصواب . فأعمارنا نحن الفرنسيين لا تتجاوز خمسة عشر قرناً اوعشرين على الأكثر ، فالغالبيّون لم يكونوا فرنسيين ، ولم يكن تشعب الفرنسي من أثر قبل القيصر الكبير ، في حين ان الصينيين هم صينيون منذ ثمانين قرناً على الأقل

﴿ اقدم حضارة بشرية ﴾ لم تكن اسيا الوسطى ، قبل عهد البشر ، سوى قاعدة من الارض تمتدّ من بيقال الى بحر الهند ، فطرأ عليها تغضن عظيم نشأت عنهُ جبال حلايا والكونيلون والتيانشان والنانشان والالتاي ، ثم انحت القاعدة المنتفخة من الغرب الى الشرق واذا بالمياه تتجمع في ذلك الوادي المزدوج المعروف بالهوانغ هو واليانغ تسي ، ثم اخذ هذان النهران يلفظان موادّها واذا بالتربة الصفراء تنشأ رويداً رويداً وهي أخصب تربة أوجدتها الطبيعة قد لا تعدلها تربة اميركا الشمالية ولا تربة روسيا السوداء

وهبطت قبائل رحالة منحدرة من التركستان الى النهر الاصفر فاكتشفت الارض الصفراء واستدرجها الخصب الى استغلالها فاستوطنتها ، ومنذ ذلك الحين نشأ الصينيون

ولا مشاحة في أن السلالة الصينية مردودة الى مستهل التاريخ البشري ، ويكفينا لنستوثق من ذلك أن نرمي نظرة الى الاسطورة الصينية . فقد جاء في ميثولوجيا ابناء السماء أنهُ كان في

البدء « أسرة الجلد السامية » ثم « اسرة الارض السامية » ثم « اسرة الانسانية السامية » وأن هذه الاسر جميعها قد دامت خمسمائة واربعين قرناً . ثم جاء الامراء المنزهون عن التوبيخ وعددهم سبعة وثلاثون اميراً منهم اثنان او ثلاثة اطلق عليهم هذا اللقب : « بدأوا يبنون العشاش » وهذه العشاش كانت قرى مائية اي مبنية على ضفاف البحيرات . ومنهم من اطلق عليهم : « افركوا قطعتين من الحطب لتشتعلا » ولا ريب بان هذا اللقب يرمز الى استعباد النار . وأطلق على احد هؤلاء الامراء لقب « الدائرة والوسط » وهذا اللقب يرمز الى اختراع الدولاب والعجلة . أما المحراث فلم يكن قد اخترع بعد

يتضح لنا مما تقدم أن حضارة قديمة كهذه ينبغي أن تكون كثيرة التوغل في ظلمة الماضي وأن ثمانين قرناً إنما هي عدد ضئيل إذا قيس بعمر هذه الحضارة

﴿ الصينيون يخترعون الكتابة ﴾ جاء في أساطير الصين ان امبراطوراً يدعى «فوهي» كان مالكاً زمام الامبراطورية السماوية في نحو القرن الخامس والاربعين قبل المسيح ، وان هذا الامبراطور كان اول من دجن الماشية وسنّ شريعة الزواج وأعطى شعبه المحراث الاصلي وتخيّل أحرف الكتابة ، وهذه الاحرف لم تكن سوى ثماني علامات رمزية

ولكن في نحو القرن السابع والعشرين صعد العرش امبراطور آخر يدعى « هوانغ — تي » ولقبهُ « الاسفر المعظّم » فبعد ان افنى الدباب التي كانت تتكاثر في ذلك الحين ، ورتّب امتيازات السحرة بقوانين ، ونظّم اليومية القمرية ، وأمر برفع القرابين الى كل قوة غير منظورة عمد الى إصلاح الاحرف المكتوبة فكمّلها

إذن فالصينيون قد عرفوا الكتابة ألفي سنة قبلنا وقبل اجدادنا الروحيين اليونان والفينيقيين ، وإذن فذهنهم قد اوتاض قبل ذهننا ببرهة ، وفي هذا ما يدعو الى التأمل والتفكير على ان هناك ما هو اعجب من كل ذلك ، فقد قلت إن « الاسفر المعظم » كمّل الاحرف المكتوبة ولم يستنبطها ، فالكتابة الصينية هي كتابة رمزية تصوّر الفكر دون الصوت ، وكل كلمة صينية يعبّر عنها على الورق برسم صغير ينقل الى دماغ القارىء التأثير الموافق . اما كتابتنا نحن — وهي كتابة صوتية — فانها تنقل الى دماغ القارىء تأثيراً رنّاناً يستخرج منهُ الدماغ التأثير النهائي المتعلق بالشيء المطلوب وهذا لعمري جهد دماغي يختلف عن الاول اختلافاً بيّناً . ولا شك في أن جنسين من أجناس البشر ينتجان عن هذا الاختلاف البعيد وفي هذا دليل على ان الصينيين لا يشابهوننا في شيء ، وانهم اقدم منا بقرون عديدة . ولهذا السبب لم يكن بين ثقافتنا وثقافتهم أقل علاقة

﴿ الفتيات البشعات بليّة وعالة ﴾ والآن أتريدون أن نجوب معاً جيوب التاريخ الصيني منذ القرن السابع والعشرين قبل المسيح — وهو عصر الامبراطور هوانغ — تي — الى قرننا هذا ؟!

إذن فيستغرق مسيرنا مدة خمسة آلاف سنة لا يصعب علينا ان نختصرها في فترة خمس دقائق

بعد ان توفي الامبراطور هوانغ — تي — تعاقب على العرش ثلاثة من امبراطرة الاساطير هم ياو ، وشون ، ويو ، فالاول نظّم مجاري المياه ، والثاني انشأ قانون الجنايات الاول ونظم برمية شمسية أرضي بها المزارعين ، والثالث حمل شعبه من شواطىء النهر الاصفرال شواطىء النهر الازرق واستطاع بهذه الطريقة ان يخلق اول دولة حقيقية

على ان هؤلاء الامبراطرة لم يسودوا الا على بضع خيم وبضعة قطعان ، فقد كانوا بطارقة بسطاء لا اكثر ولا اقلّ ، فالاسرة الصينية قديمة جداً يرجع تاريخها الى اربعة آلاف سنة او خمسة آلاف سنة قبل المسيح ، وهي اسرة جبلة ، صلبة ، سلسة ، خصبة ، تقبل المضارّة بالطبع وتقبل ايضاً عدا الزوجات الشرعيات زوجات غير شرعيات ، ولكن في اشراف القانون. أما الابناء فتجوز ولادتهم بكثرة من غير ان يطوح احداً منهم خارج الحجر العائلي بشرط ان يكونوا غلماناً لان الفتيات الكثيرات بنية وعالة على اهلهن لا سيما اذا لم يكنّ مفرطات في الجمال ، والشريعة الصينية لا تجيز البلايا

﴿ الفلاسفة الصينيون الثلاثة ﴾ في العام ٢٢٠٥ قبل المسيح ظهرت السلالة الصينية الوارثة الاول وهي سلالة « هيا » التي تربعت على العرش ثم عقبتها سلالة شنغ ، فسلالة إنّ ، فسلالة تشيو التي سادت الف سنة ، اي الى عهد هنيبال فالهيا حكموا من العام ٢٢٠٥ الى ١٧٦٧ ، والشنغ والإنّ من العام ١٧٦٦ الى ١١٢٢ ، والتشيو من العام ١١٢٢ الى ٢٥٥ ، وفي عهد هذه السلالة الاخيرة عاش الفلاسفة الصينيون الثلاثة وهم لاوتسو الذي ولد في العام ٦٠٤ قبل المسيح ، وكونغ تسو الذي ولد في العام ٥٥١ ومات في العام ٤٧٩ (؟) ، ومانغ تسو ، تلميذ هذا الاخير (٣٧٢ — ٢٨٩) ولست بحاجة الى القول ان كونغ تسو هو نفسه الفيلسوف المعروف بكونفوشيوس . والآن من هم هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ؟

يسهل عليّ التكلم عن كونغ تسو ومانغ تسو ، فهذان الرجلان العظيمان كانا حكيمين اكثر منهما عالمين من علماء النظريات ، فلم يحدث لاحدهما ان عالج القضايا الكبرى المتعلقة بالقضاء البشريّ . وقد قال كونغ تسو : « لا اعرف ما هي الحياة ، فكيف اهتمّ بمعرفة ما هو الموت ؟ » وكونغ تسو هذا املى حكمة اجتماعية ، منطقية وأساليب حكومية عديدة . وهذه الاساليب الحكومية المجموعة في كتيّب عنوانه « الدرس الكبير » تستحق ان يتأمل فيها جميع زعماء الدول حتى الحاليون منهم

اما لاوتسو فيختلف عن هذين الفيلسوفين ، فهو عالم نظري ، ونظريته في العالم ، تلك النظرية الغائمة تقرب من نظريتي فيثاغوراس وهيراقليطوس . على ان لاوتسو لم يخلق ليعيش في الشرق الاقصى ، فالشرق الاقصى لم يفهمه ، ولم يستطع الصينيون ان يستقوا من تعاليمه

الآ مزيجاً من الخرافات الغريبة وهذا المزيج من الخرافات يعرف بالطاو ، وهو مفعم بالسحر، وعبادة النار والكواكب ، وغير ذلك من الغرائب والطبهات . الآ ان حسن الحظ شاء ان يولد كونغ تسو بعد لاوتسو بنصف قرن فأتيح له ان يضع بعض النظام في تلك الخرافات المشوشة ثم جاء مانغ تسو فضاعف ما اصلحه كونغ تسو حتى اصبحت الخرافات الضعيفة مذهباً وتقاليد واليكم مثالاً من «الليكي» وهو كتاب الرتب الدينية عند الصينيين القدماء :

« في الشهر الاول من الصيف قبل ان يأتي الصيف بثلاثة ايام ، اعلنه المقوم الكبير لابن السماء ، فتطهر ابن السماء بالزهد ، وفي مستهل ايام الصيف خرج لاستقبال هذا الاخير في مركبته الحمراء التي تجرها جياد صهبٌ ذات اذناب سود . لقد خرج يعلمه القرمزيّ مرتدياً لباسه الاحمر وعلى قبعته وحزامه اليواقيت الحمر ، يتبعه ثلاثة من كبار وزراء الدولة وتسعة من الوزراء الآخرين وجميع كبار الرؤساء، فرحب بالصيف في الجهة القبلية من العاصمة لما قفل راجعاً وزّع الحمد والنعم بعدله الكبير» . واليكم هذا المقال الآخر :

«إن ابن السماء يرفع القرابين او التضحيات الى السماء والارض، الى ارواح الخوافق الاربعة، الى ارواح الجبال ومجاري المياه والى الخمسة الانواع من الآلهة الانيسة»

فالمثال الاول هو ولا ريب من كونغ تسو ، والمثال الآخر من لاوتسو، وهذان المثالان هما نموذجان من مزيج يؤلف الديانة الصينية الاولى ، او بالاحرى النظام الاجتماعي في الصين فالصين منذ خمسة وعشرين قرناً كانت ركاماً من العيال يديره امير بطريق

﴿امبراطور يحرق الاسفار القديمة﴾ كذلك كانت الصين في عهد التشيو بعد ان جازت عهد الإنّ والتشنغ والهيا ، ولكن عند ما انهارت سلالة التشيو حدث انقلاب عظيم

قلت عند ما انهارت سلالة التشيو ... ولكن كيف انهارت هذه السلالة وكيف انهارت قبلها سلالات الإنّ والشنغ والهيا ؟ — لقد انهارت هذه السلالات جميعها كما ستنهار السلالات التي ستعقبها ، فبعد هؤلاء الامراء المؤسسين، الامراء الحكماء الاذكياء المتحمسين حلّ امراء وارثون يعلقون على العرض اكثر مما يعلقون على الجوهر ، والشعب الصيني كثير الشبه بقطيع الاغنام ، فهو سهل الانقياد على ان لا يطلب منه ما ليس في حسبانه او ما هو صعب عليه . فلقد سقطت سلالة الهيا لان حظية آخر امير من امرائها صور لها ان تضرم النار حين لم يكن من داع لاضرامها ، ولقد شاءت هذه السيدة الشقاوة ان ترى ما يحدث بعد ذلك، ولكن الذي حدث هو ان الصينيين قطعوها تقطيعاً واسقطوا عشيقها عن العرش

ولنعد الآن الى الاغنام ، فلما اضمحلت سلالة التشيو وذلك في العام ٢٢٥ قبل المسيح قاست الصين ثلاثاً وثلاثين سنة من الفوضى والاضطرابات ، ثم انبثق رجل عظيم من مقاطعة شانسي وذلك قبل ان يربح شيبيون الافريقي معركة زاما بعشرين سنة ، وهذا الرجل العظيم

هو الأمير تسن المعروف بفانغ تشنغ

قلت ان فانغ تشنغ هذا نجم من مقاطعة شانسي القائمة على كتف النهر الأصفر ، فما قبض على زمام الصين بأسرها — بعد ان أباد جميع المشاغبين — حتى تسمّى تسن شوهوانغ — أي الامبراطور الاول لسلالة تسن . وأول ما بدأ به هو ان انشأ من الصين امة متحدة

كان هذا الامبراطور يقبل نصيحة أي كان ، ولكن عند ما كان يرى النصيحة سيئة كان يحرق الناصح حيًّا او يغليه على النار . وكان الكتّاب يواجهونه دائمًا بالشرائع القديمة ليوقفوه عند حده ويمنعوه من العمل على هواه فحرق جميع الاسفار القديمة وأغلى أحياء جميع الذين كانوا يقرأون اي كتاب كان . فغضب الصينيون على تسن شوهوانغ — تي وأخذوا ينظرون اليه نظرتهم الى ملك دجال . على ان تسن شوهوانغ — تي كان قد شيّد أمة حقيقية تدعى الصين ، وهذه الامة لم تضمحلّ الاّ بعد مرت هذا الامبراطور في العام ٢٠٦ على انها لم تضمحلّ الاّ لتبعث فيما بعد ، والذين عملوا على بعث هذه الامة هم الهان — السلالة السماوية الحقة — الذين ساروا مدة اربعمائة سنة او اكثر ولم يسودوا طوال هذه المدة الاّ انهم عرفوا اختيار قوادهم الذين كثيرًا ما جدّدوا الوحدة الصينية . ولم تضمحلّ سلالة الهان الاّ في السنة ١٨٤ للمسيح

﴿الصين في عهد الاستيلاء الاجنبي﴾ كان القرن الخامس للمسيح عهد الغزوات البربرية ان في الصين وان في الغرب الاقصى ، ففي العام ٤١٠ استولى «الاريك» على روما ، وفي ذلك العهد أيضًا احتل ليوتسونغ ، ملك «الهون» Huns ، العواصم الصينية وأسر امبراطورين جعل أحدهما خادمًا لهُ . ومنذ ذلك الحين بدأ الغرباء يحكمون الصين ، فبعد ان جلاه «الهون» عن الصين خلفهم «التوبا» وقد اهتدوا الى الدين البوذي ، فعالجوا سلطتهم من غير أن يتخذوا لهم لقب امبراطور ، على ان سلالتين من المغول انبعثتا من دمهم هما الوي والتانغ . ولقد بقي الغرباء يحكمون في الصين مدة خمسمائة سنة متتالية فأنشأوا أمة عظيمة أداروها بشراسة ولكن بحذق ونشاط . ولا ريب بأن احتكاك هؤلاء الامبراطرة بالصين — ذلك الاحتكاك الطويل — جعلهم صينيين . على ان الصين ، في عهد الاستيلاء الاجنبي هذا ، تفتحت في أفكار لم تخطر في بال كونفوشيوس نفسه ، فبين القرن السادس والعشر وقعت في المملكة السماوية أزمتان او ثلاث ازمات دينية ، على ان هذه الازمات لم تلبث ان تلاشت ، فما سقط التانغ في العام ٩٠٧ وعقبت سقوطهم فوضى دامت نحوًا من ستين سنة انقسمت الصين الى دويلات مختلفة حتى ظهر فيها قائد ظافر او مشرد أحذق من سواه اذا شئتم فأسس السلالة الوطنية الوحيدة التي عرفتها الصين منذ عهد الهون والتشيو وهي سلالة سونغ

سوى ان هذه السلالة الصينية لم تتصرف تصرفًا حسنًا لأن مؤسسها كان جنديًّا حاذقًا أكثر منهُ محاربًا ، ولقد شبهه الفرنسيون بهنري الرابع . على ان الجدير بالذكر هو ان الصينيين

كانوا سعداء في عهد السونغ الذين انهارت سلالتهم في العام ١٧٢٩ بعد ان انهار كل شيء من حولهم ، ولقد شرح لنا ماركوبولو لماذا كان الصينيون سعداء في عهد السونغ ولماذا استسلموا لاول فاتح هبط عليهم . قال ماركوبولو :

لو كان شعب مانزي (اسم ملك) من الشعوب المحاربة لافتتح العالم . ولكن شعب مانزي لم يكن شعباً محارباً بل كان تاجراً وصانعاً ولقد صرف همه على النساء . وكان ملكه اميل ما يكون الى النساء والى العطف على الفقراء والاحسان اليهم »

ولنستأنف الآن الكلام عن آخر الامبراطرة الصينيين فنقول : ان سلالة « منغ » الصينية خلفت المغول الغرباء وتوارثت الملك الى العام ١٦٤٤ ، ثم عقبتها سلالة « تاسنغ » فحكمت من العام ١٦٤٤ الى العام ١٩١٢ أي الى عهد الفوضى الحالية التي لم تدم الاّ احدى وعشرين سنة ، والاحدى والعشرون سنة ليست بالمدة الطويلة متى كان الأمر متعلقاً بفوضى صينية

﴿ الصينيون عيال لا أمة ﴾ اظنني جعلتكم لمسون باصبعكم تلك الحقيقة التاريخية وهي ان الصين لم تكن صيناً حقيقية الاّ تحت سيطرة الفاتحين الغرباء . وهذه الحقيقة التاريخية تجعلنا نذهب الى ان الفوضى الحالية في الصين لن يوضع لها حدٌّ الاّ اذا تدخل الغرباء في الامر

ولكن فيم لم نر الصينيين الذين هم ولا ريب اكثر تجار الكرة الارضية حذقاً وحكة وأشد الفلاحين صبراً وصلابة ، والذين عرفوا اكثر مما عرف سواهم ان يقمعوا مزاجهم العصبي في الجمود الشاقة ويصور اليهم انهم اقرب الجنس البشري الى الكمال ، فيم لم نرهم صاروا الى تلك النتيجة البسيطة التي كثيراً ما صارت اليها سلالات هي دونهم بمراحل بعيدة وهي حكم النفس بالنفس ؟ فيم لم تكن الصين صيناً حقيقية الاّ تحت سيطرة فاتحين غرباء تحت سيطرة كثيراً ما كانت ظالمة شرسة ؟ . ذلك لان الصينيين الذين عرفوا في البدو ان يؤسسوا عيلة صينية متينة اضطرتهم الحاجة في الكثير الغالب الى ان يمزجوا عيالهم بعضها ببعض ويجعلوا منها قبائل لا أمة ؛ فالصينيون يؤمنون بالعيلة ، وبالعيلة دون سواها

﴿ لا يخلق الامة الاّ الزواج المختلط ﴾ لم تخلق الامم ان في آسيا وان في اوربا الاّ منذ الوقت الذي اختلط فيه الزواج من عيلة الى عيلة او من قبيلة الى قبيلة . والامم القوية التي أسرعت بالنشوء كالامة الفرنسية والانكليزية والاسبانية والايطالية ، لم تستمد قوتها الاّ من امتزاجها بعضها ببعض ، فالامة الفرنسية مثلاً هي مزيج من السلط واللاتين والفرنج والبروغوندين والنورمانديين ، والامة الانكليزية هي مزيج من البريطان والانكلو والسكسون والدانوا والنورمانديين والفائيل !

وخلاصة القول يجب ان يتزاوج الشبوط والارنب ليكون هناك امة حقيقية على ان

الصينيين لم يكونوا الا صينيين، فالصينيون لا يسمحون بالتمازج ، والتمازج وحده يخلق الامم

يبلغ عدد سكان الصين اربعمائة وخمسين مليوناً ما يعادل ثلث سكان الكرة الارضية . سوى ان هذا العدد لم يزد منذ اكثر من مئة سنة . واذا استثنينا شعوب كندا واليابان وبولونيا رأينا انهُ ما من سلالة بشرية تتكاثر بسرعة السلالة الصينية

على ان الصينيين ، وهم شعب يحتقر احتقاراً شديداً كل ما هو في نطاق الصحة ، يموتون بالملايين ، وقد لا نستطيع ان نحصي عدد هؤلاء البشريين الذين يموتون كل سنة بالاوبئة المختلفة وقد لا نخطىء ايضاً إذا قلنا انهُ منذ اليوم الذي يهتم فيه الصينيون بتربية ابنائهم بحسب القوانين الصحية يصبح عددهم تسعمائة مليون بدلاً من اربعمائة وخمسين مليوناً ويصبح الشعب الاصفر وهو يعد بالمليارات لا بالمئات الملايين . وعندئذٍ لا يبقى لنا — نحن وأنسالنا — إلاَّ أن نحتجب :

﴿ الصين في الوقت الحاضر ﴾ ولكن مالنا ولهذه المسألة المخيفة ، فلنبقَ في الحاضر ولنحصر حديثنا في هؤلاء الصينيين المساكين من طراز ١٩٣٣ الذين يقتلون اليوم مدججين في الفوضى العمياء التي لا يعرفون الخروج منها ...

قد تقولون لي ان رجلاً واحداً يكفي لانقاذ شعب ، وقد رأيتم حقيقة ذلك في فرنسا ، على أن فرنسا تعدُّ اربعين مليوناً او أقلّ . اما الصين فتعدّ اربعمائة وخمسين مليوناً ، وهذا الشعب العظيم يحتاج لانقاذه الى رجل عظيم ، والعظماء لا يخلقون كل يوم

وفي الصين ، بين بكين وكانتون ، عشرون حكومة مختلفة لا تكف عن التناحر بكل ما في الوحشية من المعنى ، وهذه الحكومات لا تعبأ بعواقب تناحرها فهي تكتفي بقتل الجنديين اي بقتل الشعب ، فالصينيون يقتلون الصينيين بالسهولة التي نراها نحن في قولنا : اسعدت صباحاً

ثم ان هذه الحكومات وعلى رأس كل منها زعيم متشرد او لص ، يفاوض بعضها موسكو وبعضها توكيو ، والبعض الآخر واشنطون ، ولندن أيضاً . ولكن لندع السياسة جانباً ! فنحن في الصين ولنبق فيها . نحن في بلاد تعسة ، في أشقى البلدان جميعاً . قد تقولون ان شقاء هذه البلاد يرجع الى اخطائها هي . حسناً ، ولكن افريقيا ، بين السينغال والكنغو ، ومراكش بأسرها كانت في الماضي ميادين معبوغة بالدم ، حتى جاء فيدهرب وارشينار ومانجين وليوتي فأشفقوا على هذه الشعوب المتناحرة ومنحوها السلام الفرنسي . فمن تراه يشفق على الصين المسكينة فيمنحها السلام أي سلام كان ويجعل منها امة حقيقية ولو أكلت الأرض ؟

أني لا أتمنى ان يجيء أحد ، منشوريًّا كان ام مغوليًّا ام يابانيًّا ! فنقد الصين لا بد له ان يصبح صينيًّا بما ان جميع الذين افتتحوا الصين لم يمر عليهم جيل واحد حتى اصبحوا صينيين . وهذا سرٌّ غريب نضيفهُ الى أسرار آسيا القصوى هذه ، الى أسرار تلك الأرض العجيبة التي اخترعت البيان — اثمن المزايا البشرية — والتي تعمل الصينيين بسرعة تدهش العقول